مجلة التراث
J-ALT
2017/ Vol:7 N°04
Available online at http://www.asjp.cerist.dz

آليات البنية السردية في السيرة النبوية لابن هشام

د.حلوي فتيحة "جامعة محمد بوضياف المسيلة

الملخص

إن السيرة النبوية المطهَّرة تُقدِّم للبشريَّة منهجًا شاملاً راقيًا تتعامل به في كلِّ جوانب حياتها؛ لتنال السيادة والتكريم في الدنيا، والسعادة الأبدية السرمدية في الآخرة؛ لأنه ليس منهجًا يَعتمِد على نظرياتٍ بشريَّة ، أو قوانينَ أرضية، أو مبادئَ وضعيَّة ، وليس نِتاج دراسات أو أبحاث لا تُمثِّل في مجموعها حقائقَ معصومة؛ إنه منهج رباني قد حاز مقامَ العِصمةِ والكمال في مصدره ومرجعيَّته، كما حازها في تطبيقاته وتأويلاته؛ فالمشرِّع هو الله الحكيم العليم الذي تكامَلتْ حكم أحكامه، وبلغ شرعه الذرى في إحكامه ، ووسِع عِلمُه كلَّ شيء وأحاط به ، والمنفذ هو من نَطق بالوحي قولاً وعملاً ، وعُصِم من الزلل والخلل ظاهرًا وباطنًا.

الكلمات المفتاحية: البنية السردية.السيرة لابن هشام. السيرة الشعبية.السيرة التعليمية .السيرة التاريخية

مقدمة

كان لابن هشام منزلة بارزة بين معاصريه ، لما كان له من قدم راسخة في العلم وباع طويل في التأليف والتصنيف وقدرة فائقة على التطويف في هذه الآفاق الرحبة ، التي يعيش فيها قارئ كتبه ، والمطلع على جليل آثاره ، ولعلّ من أهم مالفت نظرنا الى مؤلفات بن هشام وجلال قدره كتاب السيرة النبوية الذي تناول فيه أدّق تفاصيل حياة الرسول الزوجية والنبوية وكل مايدور حوله من طفولته ونشأته وغيرها ، مستخدما فيه طريقة سردية فريدة من نوعها تابع من خلالها أدّق الزوايا واضيقها ، فقد أثار ذلك في نفسنا رغبة دافعة الى دراسة ابن هشام ومنهجه السردي من خلال كتابه السيرة السيرة النبوية وصولا الى أسرار هذا الكتاب الفريد في تناوله ، قصدا الى تحليله تحليلا يصل بينه وبين قرائه ويقرب اليهم تلك التمرة المرجوة من ورائه ، وكانت هذه الغاية في سموها وعلو شأنها خير مشجع لذلك .

مصطلح السيرة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي :

اختلفت الأقاويل في تعريف السيرة وتعددت وجهات النظر الى أنّها تصب في نفس المشرب فهي تدل على السنة والطريقة والهيئة ، فقد عرفها ابن منظور في لسان العرب بقوله :" سار بهم سيرة حسنة والسيرة " الهيئة" وسير السيرة حدث أحاديث الاوائل "[1] . كما استعملت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى : " سنعيدها سيرتها الأولى " [2] ، كما أنّ السير هي جمع السيرة وهي الطريقة سواء كانت خيرا أوشرا يقال فلان محمود السيرة وفلان مذموم السيرة [3] . ونجد تعريفا آخر في قاموس المحيط :" السيرة الضرب من السير " [4] .

أما اصطلاحا : فيمكننا تعريفها :" السيرة هي نوع أدبي يعرف بحياة علم ، وهي سرد متتابع لدورة حياة شخص وذكر لوقائع جرت له أثناء مراحل حياته وليس تعريف السيرة قادر على الالمام بكل تفصيلاتها أو صورها المختلفة " [5] ، اما صبري مسلم حمادي فيعرفها على أنّها تاريخ حياة أو بعبارة اخرى إنّها حياة انسان منذ ولد الى أن مات ، وانسان عظيم تستحق حياته التسجيل بنوع خاص أو انسان تنفرد حياته بسمات تستحق التسجيل على سائر الاناس [6] ، ويعرفها احسان عباس بأنها ليست من الادب المستمد من الخيال بل هي أدب تفسيري السيرة تزاوج متعادل بين حقائق التاريخ والقوى المتخيلة البارعة في الحذف والاثبات والبناء[7].

إذن ومن خلال التعريفات التي ذكرناها آنفا يمكن القول بأن ادب السير هو سرد لحياة شخص او علم من الاعلام يبين فيها الاديب مراحل حياته والمطات التي ر بها متبعا في ذلك الاسلوب الادبي المتميز بالدقة والايضاح والسلاسة في الطرح والتحليل .

الانواع والاشكال السردية لأدب السيرالعربية :

للسيرة بكل عام ،انواع عدّة مختلفة باختلاف أنواعها وهذا منبثق من اختلاف الضابط المعتمد في التصنيف ، إذ يقول أحد الدارسين :" فحدود السيرة هي الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص وموته ، من طفولة ونضج ،وامراض ن وغيرهافهي صورة للوجود الحيواني الجسماني ، وقد يرتبط بها كثير من العواطف الانسانية [8] .

تنقسم السيرة الى نوعين رئيسين اعتمادا على كاتبها فهي سيرة امّا ذاتية واما سيرة غيرية ، أو باعتماد غايتها فهي اما تاريخية ، تعليمية ن شعبية ، ....

تقسيم السيرة باعتبار كاتبها :

السيرة الذاتية : وهي التي يقوم صاحبها بالكتابة عن نفسه ، فهو الذي يروي لنا تاريخ حياته مرحلة مرحلة بتجرد وصدق ووعي ، في ثوب قصصي أخّاذ ومن مخاطر السيرة الذاتية وما يشوبها من شوائب تغيير الحقائق وتبديلها ، وما يصاحبها من

اعلاء الذات عن طريق اختلاف البطولات وطمس الهنات والرذائل ومن هنا فقد حرص النقاد ومؤرخوا السيرة على توجيه السيرة .

السيرة الغيرية :

وتعني تتبع الآخر تتبعا وتناولها بأسلوب منهجي علمي فني وترجمة السيرة أو الحياة تعني تحلية حياة شخصية بارزة بجميع جوانبها لتكشف لنا في عمق عناصر هذه الشخصية [9] .

تفسيم السيرة من حيث غايتها :

السيرة التاريخية :

وهي التي وجهت عنايتها الى تسجيل الأحاث والحروب والوقائع المختلفة في حياة فرد من الافراد ، فهي تعرض أعماله متصلة بالاحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها قد تتضمن إضافة الى ذلك غايات خلقية أو وعظية ولكن يظل البعد التاريخي فيها هو السائد وهو الغاية الكبرى .

السيرة التعليمية :

وهي التي تشكلت على نحو مخصوص لا يتجاوز ذكر المناقب والاقوال والامثال والاعمال الفاضلة التي يتأدب بها المتادبون فهي مجموعة من الاخبار المتفرقة تدور حول شخص واحد وهناك غاية أخرى كان لها دور قوي في توجيه كتابة السيرة تمثلث في اشباع الحاجة والميل الى الامتاع والفكاهة واثارة الدهشة فكثير من السير ليس فيها الدافع التاريخي ولا هي عمل أدبي واضح وانّما هي مجموعة من القصص والمغامرات تدور حول شخصية واحدة ويتفاوت فيها عمل الخيال .[10]

السيرة الشعبية :

وهي التي هجرت عالم الحقيقة وتعلقت بحبال الخيال ، فمثلت شكلا كن اشكال القصص البطولية التي تتجه نحو تصوير الانسان المثالي وتتميز بمايلي :

-الصور المتخيلة للإيصال العظام في التاريخ العربي والإسلامي.

-تستدعي أشهر فرسان العرب ليكونوا أبطال عصور غير عصورهم فهو نوع من استحضار الماضي المجيد) لمواجهة عصر، انحسر فيه الدور العربي- الإسلامي تعلق الجماعة الإسلامية لمواجهة بذكرياتها. كعنتره بن شداد، وسيف بن ذي يزن، الأميرة ذات الهمه، السيرة الهلالية، وأبي زيد الهلالي، الظاهر بيبرس...

-الحروب الصليبية في العصور الوسطى وما ستدعته من وجوب حضور هذا النوع من السرد.

تظهر حاجة لها؛ حيث يقول الباحث.

-فاروق خورشيد، "حاجة العرب لشكل إسلامي للتعبير الأدبي يبعدهم عن الارتباط بالأشكال الأدبية المنحدرة من الأسطورة الوثنية القديمة".

-تطور أيام العرب (أخبار كثيره).

-ظهرت هذه المرويات بخط مواز للمغازي [11]

السيرة النبوية :

ويراد بها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال التعرف على حياته منذ ظهور الارهاصات التي مهدّت لرسالته وماسبق مولده من سمات تلقي أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية ومولده ونشأته حتى مبعثه [12] .

وبذلك يمكن ان نقول أنّ الخطاب السيري حظي بانتشار واسع في الثقافة العربية الإسلامية، واتسع الاهتمام بها ليشمل شرائح من المجتمع كان الهدف من تدوين حياتهم أو جزء منها هو التأريخ للشخصية وأخذ العبرة منها، وعندما نتأمل الكم الواسع الذي يضمه الخطاب السيري يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن هذا النوع السردي استطاع أن يؤسس لنفسه نسقا خاصا في الثقافة العربية فقد امتد من سير الشخصيات الدينية أولا: الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، وبعض الصحابة المتميزين إلى الشخصيات السياسية في الأزمنة واللاحقة للعصر الإسلامي، واتسعت أكثر لتشمل شخصيات المتصوفة وما تحفل بها حياتهم من مناقب وكرامات.

التراجم :

لا يخفى الباعث الديني وراء ظهور التراجم وطبقات الرجال في شتى حقول الأدب والمعرفة، ذلك أن العناية بالرجال كان يراد بها أولا؛ خدمة الحديث النبوي بالحكم على رواية، ووزنهما بأدق الموازين [13]

تمثل التراجم جزءًا كبيراً من الموروث الفكري والأدبي، يصعب حصره، امتد إلى جمع حقول النشاط الثقافي، وتنهض التراجم على قواعد محددة تهدف إلى التعريف الموجز بالمترجم له، اسما وكنيته ولقبا، تعقبها وقفة وجيزة على أخباره ونتاجه الأدبي أو العلمي تناسب أهمية الشخص وتتراوح هذه التراجم بين أسطر قليلة.

تمنح وجهة نظر المؤلف الشخصية الترجمة طابعا ذاتيا وأدبيا، وأسلوب التعبير هو الآخر يشحن التعريف أحيانا بسمات أدبية، على أن البذور السيرية الأولى في التراجم لا تخفي تأرجحها بين التوثيق والتعبير، فالهدف التعريفي يحول في كثير من الأحيان دون الارتفاع بالمستوى التخيلي إلى درجته التمثيلية الأدبية، وفي جميع الأحوال تعتبر التراجم أدبا إستعاديا تجري فيه عملية بناء صورة للشخصية إستنادا إلى سلسلة متضاربة أحيانا من المرويات، فارتسامها عند المتلقي يتشكل طبقا لوجهة النظر المؤلف، وطريقة ترتيب المرويات، ودرجة التحيّز، وهذه مكونات أدبية، ففي الأدب السيري ينحو التركيز إلى الكيفية التي تتم فيها عملية تركيب صورة الشخصية، أكثر من انصرافها إلى المواد المكونة للصورة نفسها. [14]

تعريف ابن هشام : نسبه ولقبه وكنيته :

هو عبد الله ابن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام جمال الدين أبو محمد النحوي الانصاري المصري ويعرف ابن هشام بنسبته الى الانصار فيقال له ابن هشام الانصاري ثم هو منسوب الى الخزرج أيضا في بعض المراجع ويكنّى ايضا بأبي محمد ،ولد بالقاهرة كما تصرح أغلب المراجع التي بين أيدينا سنة 708 هـ ، نشأ نشأة متواضعة في أسرة عادية لم يكن لأفرادها شيء كثير من الغنى والجاه ، تدلنا آثار ابن هشام أنّه كثير الاطلاع على العلوم المختلفة وأنّه طلب العلم في سن مبكرة وحفظ القرآن كذلك كما لازم كبار الشيوخ وتلقى عنهم مختلف العلوم ، وقد أهّلته هذه النشأة العلمية الى أن تكتمل له شخصية العلم الفذ والمؤلف فذاع صيته ونال شهرة يحزها غيره من المعاصرين [15] .

أهم مؤلفاته

كتاب المغني البيب عن كتب الأعاريب وله مجموعة من الشروح

أوضح المسالك الى ألفية بن مالك

قطر الندى وبل الصدى

شذور الذهب

الإعراب عن قواعد الإعراب

شرح بانت سعاد [16] .

الخصائص السردية في كتاب السيرة الببوية لابن هشام :

الأنساق البنائية للحدث في السيرة :

يسعى الراوي الى التفنن في أحداثه وسردها ناسجا خيوطا جمالية لاضفاء الروح والحيوة على النص ويعرف النسق على أنّه الهيكل البنائي الذي يعتمده الراوي في ارساء مرويه أي هو الطريقة التي يختارها الراوي في ايصال الأحداث للمروي له ، متتبعا لذلك عدّة طرائق فهة تارة يسعى الى عرضها بأسلوب تتابعي منطقي وتارة أخرى يعرضها بشكل تضميني دائري أو فوضوي ، وهكذا على وفق ما يراه منسجما مع نصه السردي الذي يشتغل عليه [17] .

تأتي أهمية النسق بوصفه عنصرا بنائيا من أنّ الاحداث لايمكن لها أن تنسجم أو تنتظم من دون أتبنى وفق أنساق معينة ، ومن الأنساق السردية للحدث التي حاولنا استقصاؤها ضمن كتاب سيرة ابن هشام مايلي :

***نسق التتابع :**

يعد هذا النسق البنائي من الانسلق التي عرفت منذ زمن طويل وقد هيمن مدة طويلة على فن القصة بمختلف أجناسه ، فقد كانت الأحداث تقدم للسامع بنفس ترتيب وقوعها أي سردها وبحسب ترتيبها الزمني ، وفي هذا اللون من

الانساق التداولية تتم فيه رواية أحداث القصة جزءا بعد جزء دون أن تتداخل أحداثها مع أية قصة أخرى ، وهو على ذلك من أكثر الأنساق شيوعا وبساطة ،إذ يسعى الراوي الى سرد الاحداث بشكل خيطي متسلسل مخضعا بناء الحدث لمنطق السببية ،فالسابق يكون سببا للاحق ،ويظل الروائي ينسج حبكة النص صاعدا الى الامام بشكل أفقي فيتأزّم المتن الحكائي ،ثم تنفرج في النهاية يغلق فيها الراوي النص .

وقد جاءت أكثر أخبار ابن هشام مناسبة بشكل تتابعي ، قدمها لنا الراوي وفق هذا النسق البنائي ، ولعلّ من أبرز خواص الخبر واهمها هو تاكيد الراوي على نقل الواقعة الاخبارية نقلا تتابعيا دون حدوث أية انحرافات بارزة في بنيته الزمنية ، ومن أمثلة هذا مايعرضه ابن هشام في التسلسل الزمني للاحداث فهو يسرد الاحداث متتابعة في الجزء الاول في خبر ولادته صلى الله عليه وسلم الى خبرعصمته له في طفولته[18]

وهكذا يستمر الراوي في نقل الخبر وفق تسلسل منطقي دون ملاحظة أي تخلخل زمن بل مضت الاحداث بشكل طبيعي ليصل الى اعلام أمه جده بولادته صلى الله عليه وسلم .

نسق التضمين :

وهو من الانساق البنائية لتي يعتمد ها الكاتب وسيلة لعرض أحداث قصته للمتلقي ، وهذا النسق يقوم على أساس نشوء قصص كبيرة في اطار قصة قصيرة واحدة ويوظف الراوي هذا اللون من الانساق محاولة منه لسد فراغ داخل العمل السردي من جهة ، وبحثا عن التنوع في طريقة العرض القصصي من جهة اخرى دفعا للملل والسؤم ، وفي نسق التضمين تتفرع عن القصة الأم قصص أو قصة أخرى فرعية إلا أنّ التعدد القصصي هذا ليس مشروطا بتعدد الرواة فبإمكان راو واحد أن يعقد علاقات بين مقاطع حكائية مختلفة كما حدث عند ابن هشام ، ولا سيما وان كان الكاتب ممن يمتلك الموهبة القصصية والدقة في اختيار الموضع الذي يعمد فيه الى توليد القص ، مما يسمح بدوه في نشوء سرد كثير يتفرع من القصة الاولى اذ تنمو القصص ويتضخم النص وتزداد الدلالة .

لقد تميز تراثنا السردي القديم بأسلوب التضمين والتفرع عن الاطار العام ، وهذا مايمكن ملاحظته في كثير من أحداث السيرة كما يذكر ابن هشام في خبرحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن عصمة الله في طفولته وحرب الفجار ونشوب الحرب ، ومايورده ابن هشام في أحداث غزوة بدر وكيفية مقتل أمية تم يضمن الحدث بذكر شهود الملائكة ثم يسرد مقتل ابي جهل ثم يضمن الحدث قصة يسرد فيها شعار المسلمين في بدر ويعود الى مقتل أبي جهل .....وعند هذه النقطة السردية يعمد الراوي الى اختيار الموضع الذي يسوق فيه قصته الثانية ليثبث من خلالها صدق الخبر في احداث بدر وماكانمن أحداث كثيرة متتابعة يضمنها الراوي بأحداث تضمينية[19] .

النسق الدائري :

ويراد به أنّ الاحداث تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النهاية الى نفس النقطة التي بدأت منها وهذا النسق غالبا ما يأتي ثانويا ، ومما لاحظته في أخبار السيرة أنّ ابن هشام يعمد الى نسج أحداثه وفق هذا البناء والشكل المروحي ومن ذلك ما نقرأه في خبر حمس إذ أنّه يبتدأ الخبر عن الحمس وينهيه عن الحمس أيضا ، وهذا هو نسق السرد الدائري كما جاء في النص :"وقد كانت قريش ، لا أدري أقبل الفيل أم بعده ،اتبعت رأي الحمس ..... فقالوا :نحن بنو ابراهيم واهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنها فليس لاحد من العرب متل حقنا ولا مثل منزلتنا ولاتعرف له العرب مثل ماتعرف لنا فلا تعظموا شيئا من الحلال كما تعظمون من الحرام ،فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد الحل مثل ماعظموا من الحرم ....." . [20] .ويبقى ابن هشام في سرد خبر الحمس حتى ينهيه أيضا في خبر حكم الحمس في الاسلام .

أنماط التواتر السردي في السيرة النبوية لابن هشام :

السرد المفرد : وفيه يقوم الراوي بسرد ماوقع مرة واحدة ، ويطلق على هذا اللون من الحكايات اسم الحكاية التفردية ومن أمثلة ذلك ما نلحظه فيما ذكره ابن هشام حول الملكين الدين شقا صدر النبي صلى الله عليه وسلم

السرد المكرر : وفيه يقوم السارد برواية ماوقع مرة واحدة أكثر من مرة ويسعى الى الحكاية التكرارية ومن ذلك ماورد في تكرار خبر مبعث النبي إذ ذكر في السيرة كثيرا

السرد الاختزالي : وفيه يقص السارد مرة واحدة ماوقع لاكثر من مرة ، ومن نماذج ذلك خبر الغزوات واختزاله لها .

منهج ابن هشام وخصائصه السردية في بناء السيرة النبوية :

تميز ابن هشام في تأليفه للسيرة النبوية بمجموعة من الخصائص والمميزات ، كما رسم لنفسه منجا فنيا في الكتابة السردية والتي جعلته ينفرد بكتاباته وهي كالتالي :

- ذَكَرَ النسب النبوي بالكامل، قال: "محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، واسم عبدالمطلب: شيبة بن هاشم، واسم هاشم: عمرو بن عبدمناف....إلخ"، إلى أن يَصِل إلى الجد العشرين للنبي، وهو (عدنان)، وما بعد عدنان ليس جدًّا للنبي وليس صحيحًا.

- ذكر أنه سيبدأ كتابه بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله، وما يَعرِض من حديثهم، وتارك ذِكْر غيرهم من ولد إسماعيل، مع الاختصار في المعلومات والعرض والتأريخ لهم في تسلسُل وترتيب.

- يتدخَّل بالحذف، وخاصة مما هو ليس فيه ذِكْر للرسول وآله، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس عليه شاهد، ولا تفسير له.

- يَدعَم الروايات بالاعتماد على القرآن الكريم كمصدر أساسي.

- قام بحذف الأشعار التي لم يعرفها أحدٌ من أهل العلم، حيث إن بعض الشعر يَشنُع الحديث به، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكرُه، والبعض لم يُقِر له البَكَّائِيُّ بروايته.

- الدقة والأمانة من ابن هشام فيما نقله عن شيخه البَكَّائي (ت 183هـ) من روايات، حيث كان البكائي مِن أتقن الناس في رواية السيرة عن ابن إسحاق، فهو أشهر أن يَكذِب في الحديث.

- يَعتمِد على منهج الاستقصاء المحكوم بالرواية والعِلم به.

- نلاحظ ثقافتَه اللغويَّة في كتابه على الدوام؛ "تقول العرب: هاجر وآجر، فيُبدِلون الألف من الهاء، كما يقولون: هراق الماء، وأراق الماء وغيره، وهاجر من أهل مصر".

- تَسلسُله في العرض وترتيب الروايات ترتيبًا منطقيًّا، فهو لا يَسرُد سردًا (نلاحظ الترتيب المنطقي في سياقته للنَّسبِ من ولَد إسماعيل – عليه السلام).

- كان يذكر الأماكن وتاريخ الوفاة "قال ابن إسحاق: كان عمر إسماعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة، ودُفِن في الحِجْر مع أمه هاجر".[21]

- تحديد الأماكن والمواقع الجغرافية "أم إسماعيل: هاجر: من أم العرب، قرية كانت أمام الفرما، من مصر، وأم إبراهيم: مارية سُرِّيَّة النبي، التي أهداها المقوقس من حَفْنٍ من كُورَةِ أَنْصِنَا".

- كان يَقتَبِس ويَنسُب كلَّ قول إلى صاحبه "قال ابن إسحاق: حدَّثني محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري".

- حريص على استخدام السَّندِ.

- يُضيف إضافاتٍ جديدة عندما يَسرُد النَّسبَ "((إذا فتحتم مصرَ، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمَّة ورَحِمًا))، فقلت – أي: ابن إسحاق – لمحمد بن مسلم الزهري: ما الرَّحِم التي ذكر رسول الله لهم؟ فقال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم".

- شخصيَّته حاضرة على الدوام، وعندما يصدر كل إضافة جديدة يقول: "قال ابن هشام: فالعرب كلها من ولدِ إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولدِ إسماعيل، ويقول: إسماعيل أبو العرب كلها".

- ما زال ابن هشام يذكر النسبَ كاملاً في حِلْف الفضول "تداعتْ قبائل قريش إلى حِلف، فاجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد.... إلخ".

- نلاحظ التوثيقَ بالنص في ذِكره لحلف الفضول.

- بيان الموضوع ذاته قبل الرواية ونقْلها.

- ذكره في النسب قبيلة بني هاشم، وبني عبدالمطلب على قائمة القبائل التي شاركت في حِلف الفضول، وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على مكانتهم الاجتماعية ومنزلتهم بين الناس، حيث قال النبي: ((نحن وبني عبدالمطلب يد واحدة)).

- وقَع ابن هشام في عيب، وهو الاستطراد، فقد أتى برواية أو حادثة بعيدة عن موضوع حِلْف الفضول، وهي رواية حدثتْ في زمن بني أميَّة "النزاع بين الحُسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على مالٍ كان بينهما بذي المروة (قرية بوادي القرى).

- يُعرِّف ببعض الأشخاص، وهذا يُعَد توثيقًا للقبائل التي شاركت في حِلْف الفضول "فقد عرَّف بمحمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف".[22]

- يذكُر ابن هشام الرؤيا الصادقة التي يراها النبي وهو أول ما بُدئ به رسول الله من النبوة باختصار.

- ذكر ابن هشام بعض معجزات النبي حصرًا كتسليم الحجارة والشجر عليه – صلى الله عليه وسلم.

- نُلاحِظ الإبهامَ في بعض الأسانيد التي يَذكُرها ابن هشام "كان النبي إذا خرج لحاجته، أبعد حتى تُحسَر عنه البيوت، ويُفضي إلى شِعاب مكة وبطون أوديتها".

- ذكر ابن هشام ابتداء نزول جبريل على الرسول.

فيُعلِّق قائلاً: وتقول العرب: التحنُّث والتحنف يريدون الحنفيَّة، فيُبدِلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جدث، وجدف، يُريدون القبر.

• ذكر ابن هشام كرمَ النبي – صلى الله عليه وسلم – فكان رسول الله يُجاوِر ذلك الشهر من كل سنة، يُطعِم من جاءه من المساكين.

• ذكر ابن هشام أمرَ نزول الوحي على النبي وهو يتعبَّد في غار حراء.

• ذكر ابن هشام أمرَ هجرة المسلمين إلى الحبشة، وقد اعتمد على رواية أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله.

• كان اختيار أرض الحبشة اختيارًا صحيحًا مائة بالمائة من رسول الله؛ وذلك:

لاعتبارات مالية وسياسية، بها النجاشي وهو مَلِك لا يُظلَم عنده أحد، كان مذهبهم الموتوفيزيقي (المذهب التوحيدي) أقرب المذاهب المسيحيَّة إلى الإسلام.

• ذكرت أم سلمة ما وجده المسلمون من حُسْن المعاملة في الحبشة، وهذا يدل على براعة النبي في اختياره لهذا البلد "قالت: ولما نزلنا أرض الحبشة، جاورْنا بها خيرَ جار النجاشيَّ، أَمِنَّا على ديننا، وعبدْنا الله تعالى لا نُؤذَى ولا نسمع شيئًا نكرهه".[23]

• عندما بلغ قريشًا حُسْنُ معاملة النجاشي لهؤلاء المسلمين، قاموا بإرسال الرسل والوفود لمعرفة أخبار الحبشة والنجاشي، وهذه تُعَد من العيون والاستخبارات في عهد الرسول، ولكنها ليست عيونًا للرسول، بل هي عيون عليه وعلى المسلمين، فأرسلوا رجلين: عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، ومعهم هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، ولم يتركوا بطريقًا إلا أهدوا له هدية، وقامت الهدايا بدورها في موقف البطارقة؛ حيث طلبوا من النجاشي أن يُسلِم هؤلاء القوم إلى بلادهم وقومهم، فغضب النجاشي ورفَض قائلاً: لاها الله إذًا لا أُسلِمهم إليهما، فهنا نرى ملمح الهدايا لكي يكسبوا النجاشي وبطارقتَه لصفوفهم.

• ذكر ابن هشام موقف عمرو بن العاص وإصراره على أن يَجِد طريقة تجعل النجاشي يُسلِم هؤلاء المهاجرين إليه "قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدًا عنهم بما أستأصل به خضراءهم، وقال أيضًا: والله لأخبرنَّه أنهم يَزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، وعندما قابَل النجاشي قال له: أيها المِلك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا".

• ما زال ذكاء جعفر بن أبي طالب في الرد على أسئلة النجاشي عندما سأله ماذا تقولون في عيسى ابن مريم: "يقول: هو عبدالله ورسوله ورُوحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول" فقال النجاشي: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قُلتَ هذا

العودَ، فقال: وإن نَخَرْتُمْ والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي؛ مَن سبَّكم غَرِم، من سبَّكم غَرِم، ما أحبُّ أن لي دَبرًا من ذهب، وأني آذيت رجلاً

• نلاحظ الاستطراد عند ابن هشام في الربط بين حادثتين (حادثة هدايا قريش التي أرسلوها ورفَضها النجاشي، وحادثة حدثتْ مع النجاشي عندما ردَّ الله عليه مُلكَه "فوَالله ما أخذ الله مني الرِّشوة حين ردَّ عليَّ مُلْكي، فآخُذَ الرشوةَ فيه"، وهذا الاستطراد في محله.

• استعمل ابن هشام الكثيرَ من عبارات حدَّثني أو حدَّثنا؛ وهذا يدل على صِدْق الرواية عنده.

• ذِكْر العيون والاستخبارات في عهد النبي أكَّد عليها ابن هشام عندما أراد أن يعرف المهاجرين أمر الحرب بين الرجل الذي نزل للحبشة ليُنازِع النجاشي في مُلْكه "قالت أم سلمة: فقال أصحاب رسول الله: مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا، فذهب الزبير حتى جاء فلمَحوا لمعانَ ثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوَّه، ومكَّن له في بلاده"، ففرِح المهاجرون بنصرةِ النجاشي على عدوه، وهذا يُعَد ملمحًا حضاريًّا؛ حيث إن المهاجرين ما زالوا يتذكَّرون موقف النجاشي عندما نزلوا بأرضه.

خاتمة :

في تناولنا لهذا الموضوع الخصائص السردية في سيرة ابن هشام أبرزنا حياة ابن هشام من خلال مولده ونشأته بالاضافة الى مؤلفاته ثم ماتسم به منهجه الفريد في السيرة النبوية ما يُميِّز حضارة الإسلام أنها حدثٌ تاريخي قائم بذاته، غير مقتبسةٍ من حضارات أخرى، ولم تَقُم على أنقاضِ مدنية سابقة؛ ولذا فقد أقامت نُظُمًا متميزة بأدق التفاصيل، وأحدثت تغييرًا جذريًّا في حياة البشر، وفتحت أبوابًا من العلم لم تكن موجودةً من قبل، وما زال أهل الفن في جميع التخصصات يبحثون في تلك الحضارة الرائعة التي كانت – وما زالت – السيرةُ النبوية أهمَّ عامل من عوامل قيامها، ودليلًا قاطعًا عليها.

إن دراسة السيرة النبويَّة بالنسبة لكل مسلم تُعَدُّ مهمة أساسية يُحقِّق من ورائها فوائدَ جمة، وخدمة السيرة النبوية بالبحث والدراسة، والتوثيق والاستنباط، والنشر والتبيين – يُعَدُّ خدمة للبشريَّة عامة، ولأهل الإسلام خاصة.

وإن دراسة مسائل شرعيَّة في ضوء السيرة النبوية يُحقِّق فوائدَ جليَّة في جانب الدراسة؛ بما تَكتسِبه عند ارتباطها بالسيرة من حيوية وتَدفُّق، يزيدها ثقلاً، ويرفعها شأنًا.

وفي المقابل، فإن هذه الدراسات الجزئية تُشكِّل في مجموعها خدمة جلية في سَبْر أغوار السيرة والانتفاع بكنوزها غير المحدودة.

قائمة المصادر والمراجع :

[1]– ابن منظور ، لسان العرب، دار الجيل ، بيروت ،ط1،مج3،1997،ص378 .

[2]– سورة طه : الآية 20 .

[3]– أبو الحسن الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،ص998 .

[4]– الفيروز آبادي ، القاموس المحيط،بيت الافكار الدولية،بيروت،ط1،2008 ،ص870 .

[5]– ابراهيم السعافين وآخرون ، أساليب التعبير الأدبي ،دار الشروق،عمان،ط1،1997،ص192 .

[6]– صبري مسلم حمادي ،أثر التراث الشعبي في الرواية العراقيةنبيروت،ط1،1980،ص63 .

[7]– احسان عباس ،فن السيرة ،دار الشروق،عمان نالاردن،ط5،1998 ص90 .

[8]– ابراهيم السعافين وآخرون ، مرجع سابق ،ص192 .

[9]– المرجع السابق، ن ص 192.

[10]– المرجع نفسه ، ص 193 .

[11]– عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، ص194

[12]– المرجع السابق ، ن ص .

[13]– عبد الله ابراهيم، موسوعة السرد العربي، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005 ،ص 181 .

[14]– المرجع السابق ، ص 181 .

[15]– عمران عبد السلام ، منهج ابن هشام من خلال كتابه المغني ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع،بنغازي،ط1،1986 ،ص19 ،20.

[16]– المرجع نفسه ، ص 30 ،31 ،32 .

[17]– جعفر جمعة زبون ، بناء الحدث الروائي في نظرية السرد والسيرة النبوية ص3

[18]– المرجع نفسه ،ص 4 .

[19]– المرجع السابق .

[20]– السيرة النبوية ، ابن هشام ، دار الكتاب العربي الطبعة: الثالثة 1410 هـ / 1990 م ص22

[21]– شبكة الألوكة ،http://www.alukah.net/sharia/0/72265/#ixzz51QjhKzdS

[22]– المرجع نفسه

[23]– المرجع نفسه